أصول النقد العلمي

"النقد العلمي قد يتحول إلي نقمة وفتنة أو نعمة ومنة، وعلي الناقد أن يختار أن يكون صاحب نعمة أو فتنة"

بقلم أ.د. محمد لبيب سالم
مدير مركز المشروعات والإبتكارات ونقل التكنولوجيا
جامعة طنطا – مصر
Email: Mohamed.labib@science.tanta.edu.eg

من السهولة بمكان لأي إنسان متعلم أو جاهل أن يهاجم ويسب ويجادل موضوع ما ، ولكن من الصعوبة بمكان وزمان أن يمتلك القدرة علي نقد الموضوع. فمن ينقد هو عالم باحث عن الحقيقة. وإثبات الحقيقة يحتاج إلي معطيات وأدوات للوصول إلي برهان بدلائل قاطعة. ولذلك نري العديد من الأبواق المفتوحة علي مصراعيها لكثير ممن تحولوا إلي نقاد دون أن يدركوا أن للنقد وسائل وأدوات ورؤية ورسالة يجب أن يحملها الناقد ولو نقد مرة واحدة في العمر.

والنقد عامة والعلمي خاصة هو الأرقي لأنه يعتمد علي مناقشات علمية تماما كما يحدث في كتابة البحوث العلمية قبل نشرها. فما جزء المناقشة **"DISCUSSION"** في أي بحث علمي سوي مثال واضح من ديالوج النقد العلمي البناء الذي تُعرض فيه نتائج البحث وتناقش من ناحية بناءا علي المتاح من معلومات سابقة سواء إتفقت أو إختلفت مع نتائج الباحث ومن ناحية أخري من وجهة نظر الباحث ، ثم إعطاء الخلاصة والتوصيات. وما تحكيم المشروعات والأبحاث الا نقد علمي رفيع المستوي لا يمكن أن يقوم به احد الا اذا كان صاحب خبرات والا قد يؤذي صاحب العمل العلمي بسبب عدم درايته بهموم ومصاعب وتحديات اجراء البحوث والفارق بين الكلام النظري والتجربة العملية.

إذا، كل من يشتغل بالبحث العلمي يجب أن يكون ناقدا علميا متبعا الأصول العلمية وإلا أصبح مثله مثل المجادل بالشارع الذي يتبع هواه المبني علي الهجوم المبرر والغير مبرر علي الآخر. فالنقد العلمي هو نوع من التفكير المنطقي **CRITICAL THINKING** الذي لا يتأتي ولا يُكتسب إلا بالدراسة والممارسة العملية والمهنية.

والقدرة علي التفكير المنطقي لا تولد بين يوم وليلة بل هي خبرة تراكمية تعتمد علي التعلم في المراحل المدرسية المختلفة حتي الجامعية. وقد يفسر إنتشار النقد الهجومي العشوائي والجدلي الذي ينتمي إلي رؤية صاحبه **"كطرف أول"** وإهمال صاحب موضوع النقد **"كطرف ثاني"** إلي غياب هذا النهج العلمي في مناهج التعليم في مصر والذي يعتمد فقط علي التلقين والحفظ فينموا العقل ويتربي ويتعود علي الرأي الواحد في حالة التحدث عن النفس وعن الهجوم المبرمج في حالة نقد الآخر دون البحث والتفكير في المعطيات والدلائل.

والفرق بين العالم والجاهل هو الفارق بين العلم والجهل. وأرقي العلماء درجة هو القادر علي النقد العلمي بإستخدام الأسس العلمية الرصينة المتعارف عليها و الثابتة لدي المجتمع العلمي. فكما للعلوم الدينية شيوخها وطلابها ومريديها والباحثين فيها ، فكذلك العلوم الطبيعية والطبية والهندسية بالإضافة إلي علوم التكنولوجيا. وفي أي علم من العلوم يجب أن يكون النقد العلمي مستوفي الشروط المتفق عليها وإلا تحول الأمر إلي جدل وشعوذة نقدية تتأثر بالعلاقات والطموحات والنفوذ. ومع أن هناك الكثير من القواعد المعمول بها في أصول النقد العلمي، إلا أنني سوف أسوق هنا عشرة نقاط أساسية أراها ضرورية لأن يتحلي ويتسلح بها الناقد العلمي ليكون حياديا ومنطقيا في تناول الأمور العلمية بمنطق يتناسب مع شرف النقد وهيبة العلم.

أولا: أن يكون الناقد علي دراية بموضوع النقد وليس برؤوس الموضوع. فقد تكون رؤوس الموضوع رمزية وتحوي في طياتها رسالة محددة قد تختلف قليلا عن فحوي الموضوع ذاته. ولذلك فيجب تأجيل النقد إلي بعد سماع موضوع النقد سواء من خلال محاضرة أو ندوة أو ورشة عمل أو بحوت علمية منشورة. تماما كما يحدث في القضاء حيث الحكم ليسرفقط بعد سماع الشهود ولكن أيضا بعد المداولة. والنقد العلمي لا يقل مكانة عن أحكام القضاء.

ثانيا: أن يكون الناقد متخصص في موضوع النقد حتي يستطيع أن يدرك ليس فقط محتويات الموضوع ولكن أيضا فلسفة الموضوع الصغري والكبري وكذلك الفئة المفترض إستفادتها من الموضوع لأن كل فئة تتطلب فلسفة تناسبها عند عرض الموضوع.

ثالثا: أن يكون الناقد علي علم بصاحب الموضوع إذا كان فردا أو جماعة وتاريخه العلمي وفلسفته العلمية وثقله العلمي وتواصله المحلي والدولي علي مستوي الموضوع.

رابعا: أن يتجرد الناقد من كل هوي سواء كان شخصي أو وظيفي أو مؤسسي. فيجب أن يكون النقد منزها عن كل إعتبار حتي لا يتأثر رأيه بعوامل بعيدة عن الموضوع نفسه ولكنها قد تهدمه بما في ذلك بما يسمي **CONFLICT OF INTEREST**.

خامسا: ألا يتسرع الناقد في الإدلاء بأي نقد بل يجب التريث في نقده حتي يحلل عناصر الموضوع جيدا وبتأني ليعطي نفسه فرصة للتأكد مما سوف يعلنه من حكم.

سادسا: أن يستخدم الناقد كل الأساليب الممكنة لتجميع المعلومات عن موضوع النقد ليكون علي علم بأهمية الموضوع الأدبية أو الإقتصادية أو العلمية.

سابعا: أن يدرك الناقد مدي أهمية نقده للوسط العلمي ، فقد يحدث بلبلة تثير القلائل في الوسط العلمي أو تشكك أو تؤكد من أهمية موضوع النقد.

ثامنا: أن يكون الناقد مستعدا نفسيا وفكريا وعلميا دائما في التواصل مع صاحب الموضوع للتأكد من تساؤلاته أو تحفظاته حتي يكون حكمه النهائي اكتمل وبناء للموضوع وصاحبه والمجتمع العلمي.

تاسعا: أن يعتبر الناقد نفسه قدوة ومثل أعلي للآخرين سواء من فئة النقاد أو المجتمع العلمي وأن يدرك أن كل نواتج نقده سوف يكون لها تأثير هام في ليس فقط لتهيئة المناخ العلمي ليكون مع أو ضد الموضوع ومحتوياته ولكن أيضا في تشكيل الفكر العلمي لدي الباحثين بحيث يكون الهدف النهائي الناقد هو الإستقرار العلمي حتي لا ينشغل عن العلم بالجدال فيه وحتي يأخذ نواتج النقد قاعدة للفكر العلمي وإستمراريته علي أسس علمية.

عاشرا: أن يذكر مميزات الموضوع قبل الخوض في نقده حتي يكون منصفا لجوانب الموضوع وصاحبه مع إعتبار أن كل موضوع له مميزاته وعيوبه حتي ولو فاقت العيوب المميزات فلا بد من إعطاء الإيجابيات حقها حتي لا يهمش الفكر الإنساني عام والعلمي خاصة وحتي لا يتأصل هذا الفكر

السلبي من ذكر السلبيات فقط غي العقلية المتعلمة وبالتالي إكتسابها طريقة سلبية في إدارة الأمور دون أن تدري. وأن يتقبل أن يراجع نقده إذا لزم الأمر وعلمه بمستجدات الأمور.

تلك هي أهم القواعد في أصول النقد العلمي من وجهة نظري العلمية التي يجب أن يتحلي بها ويدرسها ويطيبها كل ناقد علمي قبل مسئولية الناقد العلمي. النقد العلمي ليس مجرد كلمات تقال لإنهاء أو إشعال موقف يلهب الوسط العلمي. النقد العلمي وسيلة للبناء وليس للهدم فبه تبني العقول وتدرب علي الفكر التحليلي والمنطقي المبني علي الحجة وليس علي التخمينات. النقد العلمي مبني علي القراءة والتحليل وعلي فلسفة للناقد يسعي إلي توصيلها وتوطيدها في عقل قراءه.

النقد العلمي قد يتحول إلي نقمة وفتنة أو نعمة ومنة، وعلي الناقد أن يختار أن يكون صاحب نعمة أو فتنة.

وكما أنه لا يمكن أن يكون هناك أب من غير مولود منه أو له ، فكذلك لا يمكن أن يكون هناك ناقد أدبي دون أن يمارس الكتابة ، ولا يمكن أن يكون هناك ناقد رياضي دون أن يمارس الرياضة ، ولا يمكن أن يكون هناك ناقد سينيمائي دون أن يكون قد مارس الفن ، ولا يمكن أن يكون هناك ناقد علمي دون أن يكون قد مارس اجراء التجارب في المعمل ، فكيف للناقد أن يتفهم عقلية من ينقده دون أن يعيش همومه و تجربت.

"ملحوظة: تم كتابة هذا المقال بناءا علي رؤية شخصية و علي مشاهدات وتحليل الواقع وليس علي أي مصدر علمي".

تحياتي

أ. د. محمد لبيب سالم
مدير مركز المشروعات والإبتكارات ونقل التكنولوجيا
جامعة طنطا